

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ } * { وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا }
* { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (1-3)

{ إِذَا جَاءَ } منصوب بسبح، و هو لما يستقبل. و الاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة. روي أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع. فإن قلت: ما الفرق بين النصر و الفتح حتى عطف عليه؟ قلت: النصر الإغاثة و الإظهار على العدو. و منه: نصر الله الأرض غائتها. و الفتح: فتح البلاد و المعنى نصر رسول الله صلى الله عليه و سلم على العرب أو على قريش و فتح مكة و قيل: جنس نصر الله للمؤمنين و فتح بلاد الشرك عليهم. و كان فتح مكة لعشر ماضين من شهر رمضان سنة ثمان، و مع رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة آلاف من المهاجرين و الأنصار و طوائف العرب، و أقام بها خمس عشرة ليلة، ثم خرج إلى هوزن، و حين دخلها

(1356) وقف على باب الكعبة، ثم قال: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له
صدق وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده " ، ثم قال: " يا أهل مكة، ما
ترون أني فاعل بكم؟ " قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم». قال: " اذهبوا فأنتم
الطلاق " ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد كان الله تعالى أمكنه من
رقابهم عنوة، و كانوا له فيئاً، فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء، ثم بايعوه على الإسلام {
في دين الله } في ملة الإسلام التي لا دين له يضاف إليه غيرها
{ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ }

[آل عمران: 85]. { أفواجاً } جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد

ما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً و اثنين اثنين. و عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

(1357) أنه بكى ذات يوم، فقليل له. فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: **" دخل الناس في دين الله أفواجا و سيخرجون منه أفواجا "** و قيل: أراد بالناس أهل اليمن. و قال أبو هريرة:

(1358) لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **" الله أكبر جاء نصر الله و الفتح، و جاء أهل اليمن: قوم رقيقة قلوبهم، الإيمان يمان، و الفقه يمان، و الحكمة يمانية "** و قال:

(1359) **" أجد نفيهم من قبل اليمن "** و عن الحسن: لما فتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض، فقالوا: أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان، و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل و عن كل من أرادهم، فكانوا يدخلون في الإسلام أفواجا من غير قتال. و قرأ ابن عباس: فتح الله و النصر. و قرىء: «يدخلون» على البناء للمفعول. فإن قلت: ما محل يدخلون؟ قلت: نصب إما على الحال، على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت. أو هو مفعول ثانٍ على أنه بمعنى علمت { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } فقل سبحان الله: حامداً له، أي: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك و بال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم، و احمده على صنعه.

أو: فاذكره مسبحاً حامداً، زيادة في عبادته و الثناء عليه، لزيادة إنعامه عليك. أو فصل له. روت أمّ هانيء:

(1360) أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات، و عن عائشة:

(1361) كان عليه الصلاة و السلام يكثر قبل موته أن يقول: **" سبحانك اللهم و بحمدك، أستغفرك و أتوب إليك "** ، و الأمر بالاستغفار مع التسييح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين: من الجمع بين الطاعة و الاحتراس من المعصية، ليكون أمره بذلك مع عصمته لطفاً لأئمة، و لأنّ الاستغفار من التواضع لله و هضم النفس، فهو عبادة في نفسه. و عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(1362) **" إني لأستغفر في اليوم و الليلة مائة مرة "** و روي:

(1363) أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على أصحابه استبشروا و بكى العباس، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما يبكيك يا عم؟» قال: نعت إليك نفسك. قال: «إنها لكما تقول» فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكاً مستبشراً، و قيل:

(1364) إن ابن عباس هو الذي قال ذلك؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **" لقد أوتي هذا الغلام علماً كثيراً "** و روي:

(1365) أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: **" إن عبداً "**

خير الله بين الدنيا و بين لقائه، فاختار لقاء الله " ، فعلم أبو بكر رضي الله عنه،
فقال: فدينك بأنفسنا و أموالنا و آبائنا و أولادنا.

(1366) و عن ابن عباس أن عمر رضي الله عنهما كان يدينه و يأذن له مع أهل بدر، فقال عبد الرحمن: أتأذن لهذا الفتى معنا و في آبائنا من هو مثله؟ فقال إنه ممن قد علمتم. قال ابن عباس: فأذن لهم ذات يوم، و أذن لي معهم، فسألهم عن قول الله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ } و لا أراه سألهم إلا من أجلي؛ فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره و يتوب إليه؛ فقلت: ليس كذلك، و لكن نعت إليه نفسه؛ فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم، ثم قال: كيف تلو مني عليه بعدما ترون؟ و عن النبي صلى الله عليه و سلم:

(1367) أنه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال: **"يا بنتاه إنه نعت إلي نفسي"**، فبكت، فقال: **"لا تبكي، فإنك أول أهلي لحوقاً بي"** و عن ابن مسعود أنّ هذه السورة تسمى سورة التوديع { كَانَتْ تَوَاباً } أي: كان في الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين تواباً عليهم إذا استغفروا، فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك.
عن رسول الله صلى الله عليه و سلم:

(1368) **"من قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة"**.